

بسم الله الرحمن الرحيم

مختلفة - الأردن - المحاضرة : 24 - مدينة عمان - دار الجالية السودانية - ذكرى مولد النبي الشريف 1436: قطوف من الشمائل المحمدية - يا سيدي يا رسول الله.

03-01-2015

مقدمة :

المذيع :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، سعادة السفير عثمان نافع سفير السودان في المملكة الأردنية الهاشمية، فضيلة الدكتور عصام البشير، الأخوة أعضاء السلك الدبلوماسي، الأخوة الكرام اسمحوا لي أن أحيي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، فضيلة الشيخ سعد الدين زيدان، البروفسور مصطفى وهو لم يحضر، أحييهم تحية خاصة على تلبيتهم دعوة الجالية السودانية للحديث عن شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، في هذا اليوم المبارك أخص بالشكر فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي على تلبيته هذه الدعوة.

تفضل على المنصة، السودانيون لهم محبة خاصة لسيد الخلق أجمعين، فالسودان أنشأ إذاعة خاصة وقنوات تلفزيونية تتحدث عن شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، نحن نرحب بفضيلة الشيخ بين أحبائه. فضيلة الشيخ أبو موسى، الشيخ سعد الدين زيدان عرفه السودانيون في الأردن باحثاً في الأمور الشرعية، وخطيباً مفوهاً، رجل يهز المنابر، لم أحضر له خطبة إلا وتفويض عيناه من الدمع، وتأخذه العبرات حينما يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فنحن نسعد بالاستماع إليه عندما يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

البروفسور مصطفى إدريس جمع بين العلم الأكاديمي والعلم الشرعي، عرفناه منذ أن كنا طلبة في كلية الطب، هو صغير بالمناسبة، فلم يخل له درس إلا ربطه بالإعجاز العلمي من القرآن الكريم، هذه الجلسة حلوة ودافئة رغم برودة الطقس بالخطيب المفوه الذي حضر المملكة اليوم للمشاركة في احتفالات المملكة الخطيب العلامة الشاعر الذي عرف بالوسطية الدكتور عصام أحمد البشير.

الأخوة الحضور؛ نحن اليوم فرحين بمولد النبي صلى الله عليه وسلم لعلمنا أن الفرحة بمولد النبي يزيدنا طمأنينة وسكينة، وكلنا يعرف أن أبا لهب يخفف عنه عذاب كل يوم اثنين بسبب فرحته بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك قال محمد الإمام الدمشقي:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه بتبت يداه في الجحيم مخلداً
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً يخفف عنه للسرور بأحمداً
فما الظن بالعبد الذي كان عمره بأحمد مسروراً وبيات موحداً

فهنيئاً لكم جميعاً بحكم لسيد البشرية، نسأل الله أن يجمع قلوب السودانين جميعاً، ويوحد كلمتهم، ويجعل بلادنا سماء رخاء بفضل مولد المصطفى، ويبعد عن بلادنا وبلاد المسلمين الفتن، ويحفظ الأردن وأهله، وأقدم لكم سعادة السفير في هذه المناسبة.

النبي الكريم نقل البشرية من الجاهلية إلى الحرية والوحدة :

سعادة السفير في المملكة الأردنية :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

العلماء الأجلاء أبناء وبنات الجالية السودانية في المملكة الأردنية الهاشمية، ضيوف الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، في البدء أرجو أن أقدم للجميع بخالص التهنية بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، بالمناسبة للمسلمين ليس هناك مناسبة أعظم من مولد المصطفى، فهو الذي نقل البشرية من الجاهلية إلى الحرية وكل القيم النبيلة الإنسانية، وإلى الوحدة، وما أحوجنا اليوم في العالم الإسلامي إلى الاهتداء بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، نحن في العالم الإسلامي نعيش في جاهلية جديدة، ونعيش في اضطرابات وصراعات قبيلة وطائفية، ولا أحد يعرف إلى أين سوف تنتهي هذه المسائل، حقيقة هذه الندوة جاءت في موعدها الصحيح، ونأمل أن تكون فيها إضاءات، وأرحب بالسادة العلماء.

المذيع :

الفرصة للدكتور عصام البشير تفضل.

المولد النبوي وعاء تجتمع فيه الكلمة وتتوحد فيه الصفوف :

الدكتور عصام أحمد البشير :

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وأزكى صلوات الله المباركات على المبعوث رحمة للعالمين، وحجة الله على الخلق أجمعين، نبي الرحمة وإمام الهدى، البشير النذير، والسراج المنير، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، سعادة الأخ السفير، السادة العلماء الأجلاء، الأخوة في الجالية والحضور الكريم؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ودعوني أتوجه بالتحية الخاصة والصادقة لأستاذي وشيخي الذي نهلت من علومه ومعارفه وأدبه وتواضعه وهو جالس بين أيدينا، الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات، أرجو أن نحياه جميعاً، الذي كنا قبل أربعين عاماً نتلمذ على يديه، في جامعة الإمام محمد السعود الإسلامية في كلية أصول الدين، حيث درسنا على يديه علوم التفسير، نفع الله به أمة الإسلام، وجزاه اله خير ما يجزي عباده الصالحين، أنا لا أود أن أتكلم بين يدي هؤلاء العلماء الكبار- وقد جئت عابراً لأشاركهم فرحتهم بالمولد النبوي الشريف.

أيها الأحباب؛ في كل عام تأتي هذه المناسبة الطيبة الكريمة الذي ينبغي أن تكون وعاء تجتمع فيه الكلمة، وتتوحد فيه الصفوف، وتمتلئ فيه القلوب، بيد أن الواقع بخلاف ذلك، لأن هذه المناسبة تفتح حديثاً لا يكاد أن ينقطع بين القائلين بمشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الكريم، وبين القائلين ببدعيته، حوار تبح فيه الأصوات، وترتفع فيه الحناجر، ويقع فيه التهاجر والتدابير بين دعاة الإسلام وعلماء المسلمين، فضلاً عن عاميتهم، وتصبح المساجد التي جاءت لتكون وعاء لهذا الاختلاف- باعتبار المسجد يسمى مسجداً أو جامعاً - مسرحاً لهذا الصراع الذي لا ينقطع، وأود بين هذا وذاك أن أدخل مدخلاً تجاه الموقف من هذه القضية، هناك ثلاثة أمور، هناك ما يسمى بالأعياد الشرعية، وهناك ما يسمى بالمناسبات الدينية العامة، وهناك ما يسمى بالأيام العالمية، أما الأعياد الشرعية فهي عيد الفطر والأضحى، وهي أعياد جاءت عقب عبادات فرضها الله علينا جميعاً بكيفيات مقصورة، لا يجوز أن نزيد فيها ولا أن ننقص، هذه أعيادنا معشر أهل الإسلام، عيد الفطر وعيد الأضحى، ثم هناك مناسبات مثل المولد النبوي الشريف، مثل الإسراء والمعراج، مثل الهجرة النبوية، مثل ليلة النصف من شعبان، مثل غزوة بدر، مثل فتح مكة، هذه مناسبات لا نطلق عليها أعياداً بالمعنى الشرعي التعبدية، ولكنها مناسبات تشكل محطات للتزود بالوقود الإيماني والروحي، بعد أن تباعد العهد بيننا وبين ذلك الجيل، الذي اغترف من ينبوع الحكمة النبوية، ولا تندرج فيما تسمى بالتعبدية، التي تحتاج إلى دليل شرعي يتحدث عن مشروعيتها، فمشروعيتها تدل عليها مقاصد كلية وأصول عامة، بل وتدلل عليها نصوص جزئية كذلك، وأما النوع الثالث فإن المنظمات والمؤسسات العالمية اتفقت على تسمية أيام عالمية كاليوم العالمي للبيئة، واليوم العالمي لمكافحة المخدرات، واليوم العالمي لذوي الاحتياجات الخاصة، فهذه أيضاً أيام لا بد أن نعرض عليها في خطابنا الديني المعاصر، لنقدم قيمنا الإسلامية التي تشتمل بالشمول والريانية غاية، بالأخلاقية مضموناً، بالإنسانية امتداداً، بالعالمية سعةً، وإذا أردنا أن نقف عند دلالة

الاحتفال، ماذا تعني كلمة احتفال؟ حفلة السماء بلغة العرب إذا اشتد مطرها، وحفل الضرع باللبن إذا كثر واجتمع، وحفل القوم إذا احتفلوا واجتمعوا، فهي تدل على الاجتماع، تدل على الاحتشاد، تدل على الكثرة، والأصل في إظهار الفرح أنه أمر فطري جبلي، وأنه أمر مباح مشروع في ذاته، فنحن نفرح استبشاراً بقدوم غائب، ونفرح استبشاراً بقدوم مولود، ونفرح استبشاراً بحدوث عرس، وغير ذلك من المناسبات السعيدة، فإذا كانت هذه المناسبات التي تحصل للناس سواء كان ذلك في دينهم أو دنياهم، يتطلب استظهاراً للفرح من باب الشكر على نعمة الله، فمن باب أولى من كان مولده مولداً للإنسانية كلها، هذا أوجب وأدعى وأطلب وأكمل وألزم، إذا كان الواحد منا يذبح لمولوده عقيقة ويستبشر بذلك، وتفرج الأسارير، فكيف بهذا المولد الأعظم الذي أفاضت منه البشرية خيراً وبركة، والله تعالى جعل المنة على الخلق بأن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، هذه المنة ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم تستلزم شكراً على هذه المنة، والمنة ببعثته عليه الصلاة والسلام تستلزم المنة بخلقه، لأنه لو لم يخلق لما بعث إلينا، إذاً هذا شكر على نعمة، تجددت وكما تجددت النعمة تجدد الشكر لها، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

[سورة إبراهيم: 7]

والنبي عليه الصلاة والسلام من دلائل النعم على الإطلاق، الله تعالى يقول:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

[سورة يونس: 58]

النبي الكريم رحمة مهداة :

ندبنا الله أن نفرح بفضله وبرحمته، ونبينا صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: 107]

((إنما أنا رحمة مهداة))

[الحاكم عن أبي هريرة]

نحن مأمورون أن نعبر عن الفرح، فإذا انعقدت في نفس المسلم هذه النية فهو مثاب أولاً على هذه النية الصالحة التي يفرح فيها بمولد المصطفى عليه الصلاة والسلام، ثم يثاب ثواباً آخر إذا قام بعمل مشروع في ذاته، يصدق هذه النية، ولذلك الأمر الذي يجعلنا أن نقول مطمئنين، إن هذا الفرح لا يدخل في التعبديات التي جاءت بكيفيات متأورة عن صاحب الشرع الحكيم، إن صور الفرح عند المسلمين بهذه المناسبة السعيدة تتعدد، والتعبديات المقيدة صورتها واحدة، أما هذه فهي تنتقل إلى روح العبادة في

معناها العام، لأن المباح إن توافرت فيه النية فإنه يقلب العمل من عادة إلى عبادة، فإن من الناس من يفرح بأن يجمع أسرته وأبناءه وأحفاده، وأن يقرأ عليهم شيئاً من السيرة النبوية، معرفاً بشمائل النبي عليه الصلاة والسلام، فهو مأجور على هذا العمل المبرور، ومن الناس من يصل من قطع من رحم له، ويتذكر أن هذه المناسبة جاءت لتجدد الأرحام، فهي عمل صالح مبرور، ومن الناس من ينشئ القصيدة والمديح، وهو عمل مبرور، كيف لا نمدحه وقد مدحه رب العزة والجلال، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم : 4]

تزكية للخلق، زكى صدره، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾

[سورة الشرح: 1]

زكى ذكره، قال تعالى:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

[سورة الشرح: 4]

زكى بصره، قال تعالى:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾

[سورة النجم : 17]

زكى فؤاده، قال تعالى:

﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾

[سورة النجم: 11]

زكى هدايته، قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة الشورى: 52]

زكى عقله، قال تعالى:

﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾

[سورة التكوير : 22]

زكى معلمه، قال تعالى:

﴿ عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾

[سورة النجم : 6]

زكاه هذه التزكية الكاملة.

احتفاء الشعراء و أهل الإيمان بالنبي الكريم :

إذا مدحه الله عز وجل واحتفت به كائنات السموات والأرض فيحتفي به أهل الإيمان، وقد مدحه شاعر الإسلام الأول حسان بن ثابت، وشق له من اسمه ليجله، فذو العصف محمود، وهذا محمد.

خَلَقْتَ مِبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

ومدحه ابن راحة:

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعٌ
أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنْ مَا قَالَ وَاقِعٌ
يَبِيْتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَنَقَلَتْ بِالْكَافِرِينَ الْمَضَاجِعُ

الله أكبرُ إنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ وكتابه أقوى وأقومُ قِيلاً
لا تذكروا الكتبَ السَّوَالِفَ عندهُ طلعَ النهارُ فأطفئوا القنديلاً
كيف ترقى رُقَيْكَ الْأَنْبِيَاءَ يَا سَمَاءَ مَا طَوَّلَتْهَا سَمَاءُ
لم يساووك في علاك و قد حال سنا منك دونهم وسناء

الإمام التطولي أراد أن يصوم صوم نفل فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال:

يوم أراك به فلست أصومه فالعيد عندي ثابتٌ تحريمه

وأراد أن يقوم الليل فرأى نوراً في هذا الظلام البهيم فقال:

ودجى أميط لنا لثام ظلامه بصباح وصل منك كيف أقومه

هكذا، وأمير الشعراء قال:

المصلحون أصابع جمعت يدا هي أنت بل أنت اليد البيضاء
يا من له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء
زانتك في الخلق العظيم شمائل يغرى بهن ويولع الكرماء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لاتفعل الأنواء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا عفوت فقادراً ومقادراً لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا خطبت فللمنابر هزة تعرو الندى وللقلوب بكاء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة للحق لا ضغن ولا شحناء
يا من له عز الشفاعة وحده وهو المنزه ماله شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه والحوض أنت حياله السقاء

لم يزل أئمة المسلمين وفضلاؤهم وعلمائهم يثرون حياتهم وحياة الأمة بمدحه. أعد مدحه فإن القلوب تحبه.

الغرض من الاحتفال بالمولد النبوي تجديد الصلة بكتاب الله :

إذا نحن نقول: إن النية حينما تتعدت تعظيماً ومحبة للنبي فإنها نية يثاب عليها، وإذا انضاف إلى ذلك التقرب بعمل مشروع في ذاته يثاب الإنسان ثواباً آخر، ومن الناس من يجعل ذلك مناسبة لتجديد العهد من خلال التزكية الروحية، وآخر من خلال تجديد الصلة بكتاب الله عز وجل تدبراً وتفقهاً، ومن الناس من يجعله تأملاً بآيات الكون، التي بسطها الله تعالى، ومن الناس من يجعله تجديداً لعمارة الكون والحياة، ومن الناس من يسعى بهذا الهدي النبوي ليتخلق الناس به في سائر شؤون حياتهم، الشاهد أن الصور تتعدد بهذا الفرح، بل هناك من الناس من يذهب إلى أن يشتري حلوى المولد ليغرس في نفوس أبنائه محبة النبي صلى الله عليه وسلم، الذين لا تتسع عقولهم ومداركهم لمعرفة السيرة، وإنما يغرسها من خلال محبة النبي، وهذه الحلوى التي يقدمها لأبنائه وأحفاده، وإذا كان بعض الناس يقولون: إن هذا الأمر لم يفعله السلف الصالح مع قيام المقتدي له، فإن المقتدي له قديماً يختلف عن المقتدي له حديثاً. السلف الصالح بقربهم من النبي صلى الله عليه وسلم، وبكمال إيمانهم، وبإشعاع النور المحمدي الذي صحبوه صحبوا أنفاسه في حله وترحاله، استغنوا عن كثير من هذه المظاهر، ولكن لأن الشقة قد بعدت، والغزو العولمي قد بسط رداءه، ودخل إلى بيوتنا وأسرنا ومضاجعنا بغير إذن منا، هذا الشعاع المادي الذي أطل على حياتنا، وجعل القلوب تجف فيها منابع الإيمان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن

الإيمان لببلى فى ؤوف أءكم كما ببلى الثوب فاسألوا الله أن بءء الإبمان فى قلوبكم" كانت هذه المناسبات أشبه بالمحطات التى بتروء منها الإنسان، وبشحن بطاربته لتمتلى نوراً وروحاً وإبماناً وربحاناً، وبالتالى إذا كان عهد الناس وقربهم من النبوءة أغناهم عن كئبر مما فعله البوم فإن تباعد العهد بالببى ببعل مثل هذه المناسبات أءى لأن نولبها من الإهتام بالشىء الذى بلبق ببلاها وعظمتها. من هنا الواجب أن بطور المسلمون اهتفاءهم بالببى لا أن بكون الإهتفاء موسمياً بقءر ما أن تكون هذه المناسبة تبءبداً للعهد، لبكون التأسى فى حركتنا وسكوننا، وبقظتنا ومنامنا، وعبادتنا، وأحسب أن العبارة البامعة فى هذه القضية كلها هو ما وصف الله عز وبل نببنا من كونه رحمة للعالمبن، وما أءوننا أن نءء العهد مع النبى صلى الله علبه وسلم لنحقق التراحم بهذه الرحمة، فنحقق التعافى الءببى، والتعافى المءبمعى، والتعافى السببسى، والتعافى الوطنى، والتعافى لأمة الإسلام من ؤلال هذا التراحم، وكلمة الرحمة كلمة مركبة من أمربن، من رقة وعطف، ومن إحسان، فبعل الله العطف والرقة مركزبن فى بنى الإنسان، وتفرد الله تعالى بالإحسان، والله تعالى من أسمائه الرحمن الرحبم، والرحمن تعم، والرحبم تخص، وكان بالمؤمنبن رحبماً، لذلك الإنسان بوصف بأنه رحبم ولا بوصف بأنه رحمن، لأن الرحمن اسم ووصف اهتص الله تعالى به نفسه، فلا بقال للإنسان رحمن، والله تعالى رحمن الءبنا والآخرة ورحبمها، هذه الرحمة نحن أءوج ما نكون لتتأسى بها البوم على مسرح العلاقة الأسرىة التى تتعء بعلاقة ثلاثىة الأبعاد، علاقة تعاىءة تنشأ بعءء، ببءء الحقوق والواجبات، وعلاقة تكاملبىة بتكامل فىها ءور الرجل والمرأة، وعلاقة تراحمبىة سكن وموءة ورحمة، نءاؤ إلى أن تتعء هذه الأسرة فى ببوبة هذه الرحمة الربانبىة المءمءبىة، لتعبش صفاءها وسكبنتها، وتغرس الغرس الصالح فى بناء هذه الأسرة، نءاؤ إلى هذا التراحم على مساحة العاملبن فى الحق البسلامى التى غءت لغة التكفر والتضلل والتفسبق بببلاً عن لغة التراحم، ما أءوننا أن نتراحم ءببياً فى حق العاملبن فى حق الءوءة إلى الله، لنء ما قاله علمائنا السابقون، إءماعهم حة قاطعة، واهتلافهم رحمة واسعة.

الءوءة إلى التراحم و التكافل بكل مضامبنه ومعانبه :

نقول: إن البهوء التى تهءر فى مثل هذه الءلافات الفرعىة التى وسعت من قبلنا بكبى أن نتوءء على الأصول، على الكلبات، على الثوابت، على القطعبات، على المحكمات، وبسع بعضنا بعضاً فى الفروع، والظنبات، والابءهات، بكبى أن نتفق على أن أمتنا وءبنا وسع رخص ابن عباس، وعزائم ابن عمر، وأثرىة ابن حنبل، وفقه أبى حنيفة، ومقاصءبىة الشاطبى، وظاهرىة ابن حزم، ورقائق البنبء، ومنطق أبى حامء الغزالى، وابءهاد ابن بىمبىة، وكلهم من رسول الله ملتس، فلنتعاون فىما اتفقنا علبه، ولبعضر بعضنا بعضاً فىما اهتلفنا فىه، نءاؤ إلى التعافى الءببى عبر هذا التراحم، لتسوء لغة الحوار بببلاً عن لغة العنف اللفظى، نءاؤ إلى التراحم على المستوى المءبمعى، هذا التراحم الذى ببقق العءل الإءبماعى،

حتى لا تكون مجتمعات المسلمين بين بئر معطلة وقصر مشيد، بين غنى مطغ وفقر مدقع، فكم رأينا من ذوي المسغبة والفقير والحاجة المحرومين الأيتام الفقراء، الذين يفتشون الأرض، ويلتحفون السماء، نريد هذا التراحم، من لا يرحم لا يُرحم، لا تنزع الرحمة إلا من شقي، الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمهم من في السماء، نحقق هذا التكافل بكل مضامينه ومعانيه، نحتاج إلى التراحم في أوطاننا، نتراحم بين منظماتنا الاجتماعية، أحزابنا السياسية، لنقول للجميع بأن قامة الوطن أكبر من قامة الشخص والشخص والأحزاب والزعامات، وأن قامة الدين في كل قطر أكبر من قامة الانتماءات الدعوية والحركية، وإذا كان الدين يسع والقلوب تضيق فينبغي أن نعود إلى رحابة هذا الدين، وإذا كانت الأوعية التي تواضع الناس عليها في العمل السياسي فإن الأوطان تتسع.

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أحلام الرجال تضيق

فلنجعل أيضاً هذا التراحم سبيلاً للتعافي الوطني، لا نقصي، ولا نهمش، ولا يستدعي أحد أجنبياً يجعله لحل قضايا، نتراضى على صيغة من الوفاق الوطني لتجتمع الكلمة، ونزواج بين الشرعية الانتخابية والشرعية التوافقية، فهذا أيضاً وجهاً من وجوه التراحم نحتاج إليه، نحتاج إلى التراحم السياسي في مجتمعاتنا، لنؤسس العلاقة بين الحاكم والمحكوم، على هذا التراضي، البيعة الحرة الرضائية، على النهج السلمي، على تعميق الشورى، على التكامل في الأدوار جميعاً، هذا وجه من وجوه التراحم الذي نحتاج إليه، التراحم على مستوى الأمة حتى تنتقل الأمة من حال التخلف لتعود إلى حالة الإقلاع الحضاري، هذه الدماء التي تسيل أشلاءً عبر التطرف،، إما أن يكون تطرفاً دينياً يبدأ بالتكفير وينتهي بالتفجير وإما أن يكون تطرفاً لا دينياً يبدأ بالتخريب وينتهي بالتدمير، وكلاهما وجهان لعملة واحدة، فالتطرف لا دين له، ولا لغة، ولا جنس يدخل في اتباع الأديان والحضارات والثقافات والمجتمعات، وللأسف هذا اللون من التطرف بكل أشكاله يهلك الحرث والنسل، ويدمر طاقات الأمة عبر هذه الأشياء من الدماء التي تسيل كل يوم، نحتاج إلى السلم الأهلي والمجتمعي، بحقن الدماء، وإصلاح ذات البين، وأن نعلم أن المرء لا يزال في فسحة من دينه ما لم يسفك دماً حراماً، هذه مساحة نحتاج فيها إلى التراحم. وأخيراً التراحم الذي يخفض أصوات هذا الاستعلاء العرقي الطائفي، المذهب القبلي الجهوي، الذي يجعل الأمة تتقدم، بل يجعلها مسرحاً تنداح فيه قوى الكيد، الذي تتربص به الدوائر، وتحوله إلى ساحة لتقسيم ما هو مقسم، وتجزئة ما هو مجزئ، وتفتيت ما هو مفتت، جعلته حراماً مستباحاً، كيف نتجاوز هذا الأمر بخفض هذه الأصوات الغالية، لنعود إلى الرحابة الكبرى وننسى فوق الجراح، ونسمو على الصغار، ونفعل كما فعلت أوروبا بعدما طحنها الصراع البروتستانتى والكاثوليك، والحرب العالمية

الأولى والثانية، فإذا هي تعود متوحدة في تشريعاتها وبرلمانها وعملتها وحدودها، إنك بتأشيرة واحدة تستطيع أن تدخل ثمان وعشرين دولة، وشعارهم.

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلَفٌ جِدًّا
فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لُحُومُهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدًا
وَلَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ زَعِيمُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدًا

أخيراً هذا التراحم نريد أن ننقل به الأمة من دائرة الوجود إلى دائرة الشهود، أمتنا المسلمة اليوم موجودة ولكن ليست حاضرة، الحضور غير الوجود، الحضور يعني الفاعلية، يعني المبادرة، أمة تعيش في قاع حضاري، وهذا التراحم هو دعوة إلى استئناف مشروع نهضوي كبير، يقوم على العقيدة الموافقة للفطرة، العبادة الدافعة للعمارة، العقل المهتدي بالوحي، العلم المرتبط بالإيمان، الأخلاق المترقية بالإنسان، الجسد الممدود بالروح، التشريع المحقق بالمصلحة، العدل المؤيد بالإحسان، الأسرة التي تصون الفرد، الخير المتوشح بالجمال، الفن الملتزم بالقيم، هذا التراحم يدفع مسيرتنا لتحقيق هذا الإقلاع الحضاري قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: 107]

أكتفي بهذا القدر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المذيع :

بارك الله بك شيخنا عصام البشير على هذه السياحة في السيرة، والسياحة الفقهية، والسياحة الأدبية، والشعر، نشكرك على هذا، ونقدم لكم فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي.

خطاب النبي الذي قدس الوجود و رعى قضية الإنسان :

الدكتور راتب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إنني سوف أتكلم مع أنه لا يجتمع درس ودرس، والكلمات إذا تعددت تنوعت، كلمة الأخ الكريم الدكتور عصام البشير جامعة مانعة، وإذا بدأ هو الكلام يتعب من يأتي بعده.

جعلت كلمتي خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سيدي يا رسول الله، يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ، يا من قدّست الوجود كله، ورعيت قضية الإنسان، يا من زكيت سيادة العقل، ونهنت غريزة

القطيع، يا من هياك تُفوّك لتكون واحداً فوق الجميع، فعشت واحداً بين الجميع، يا من أعطيت القدوة، وضربت المثل، وعبّدت الطريق، يا من كانت الرحمة مُهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك.

لسان حالك يقول: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحني، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خُلقي، وجُعلت قُرّة عيني في الصلاة..

يا سيدي يا رسول الله، أشهد أن الذين بهرّتهم عظمتك لمعذورون، وأن الذين أفندوك بأرواحهم لهم الراحون، أي إيمان، وأي عزم، وأي مضاء، وأي صدق، وأي طهر، وأي نقاء، وأي تواضع، وأي حب، وأي وفاء؟.. يوم كنت طفلاً عَزَفْتُ عن لَهو الأطفال !!.. وعن ملاعبهم، وأسمارهم، وكنت تقول لأترابك إذا دَعَوَكَ إلى اللهو: " أنا لم أُخْلَق لهذا!!".

ويوم جاءتك رسالة الهدى، وحُمِلت أمانة التبليغ، قلت لزوجتك، وقد دعيتك إلى أخذ قسطٍ من الراحة: انقضى عهدُ النوم يا خديجة.

ويوم فتحت مكة التي أدنك وأخرجتك، وكادت لك، وانتمرت على قتلك.. وقد ملأت راياتك الأفق ظافرة عزيزة، قلت لخصومك: " اذهبوا فأنت الطلقاء!!".

ويوم دانك لك الجزيرة العربية، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً سعدت المنبر، واستقبلتهم باكياً، وقلت لهم: " من كنتُ جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليؤتد منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا أخشى الشحناء فإنها ليست من طبيعتي ولا من شأني..

ويوم دخلت على ثوبان، ذلك الغلام الفقير، فرأيت يبيكي فسألته: ما يبكيك يا ثوبان؟.. قال: يا رسول الله إنك غبتَ إني اشتقتُ إليك، فتبكي عينا، فإذا تذكرت الآخرة وأنني لن أكون معك في الجنة حيث أنت في أعلى درجاتها، ازداد بكائي، عندئذٍ هبط الأمين جبريل يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾

[سورة النساء: 69]

ويوم أقبل عليك رجلٌ فظُّ، لم يكن قد رآك من قبل غير أنه سمع أن محمداً يسبُّ آلهة قريش، فحمل سيفه وأقسم ليسويين حساباً مع محمد، ودخل عليك وبدأ حديثه عاصفاً مزمجرأً، وأنت تبتسم وتنطلق مع بسماطك أطياف نور أسر، وما هي إلا لحظات، حتى انقلب الغيظ المتجهماً حياً..!! يكاد من فرط الوجد

والحياء أن يذوب، وانكفاً على يديك ودمعه ينهمر من عينيه، ولما أفاق قال لك: يا محمد، والله لقد سعيت إليك وما على وجه الأرض أبغض إليّ منك، وإنني لذاهب عنك، وما على وجه الأرض أحب إليّ منك !!! لقد أشرقت على هذا الرجل أنوار الحق، ومحبة الخلق الكامنة في قلبك الشريف، ففعلت في قلب هذا الرجل فعل السحر !!! إنها النبوة ! إنها النبوة !.

ويوم غضبت من غلامٍ لك - وكان بيدك سواك - فقلت له: " والله لولا خشية القصاص لأوجعتك بهذا السواك" ...

نحن بأمرس الحاجة إلى هديك الرباني، الذي لا تزيده الأيام إلا رسوخاً وشموخاً، ونحن بأمرس الحاجة إلى سننك المطهرة، التي هي المنهج القويم والصراط المستقيم، ونحن في أمرس الحاجة إلى أخلاقك العظمية، التي لا يزيدنها التأمل، والتحليل، إلا تألقاً ونضارة، لقد كنت بحق بين الرجال بطلاً.. وبين الأبطال مثلاً..

حيث قلت لابنتك فاطمة الزهراء رضي الله عنها: يا فاطمة بنت محمد، أنقذي نفسك من النار، أنا لا أغني عنك من الله شيئاً، من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم!

شمائله صلى الله عليه وسلم :

ما من كلمة تُقال في شمائلك أبلغ من كلمة سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عمك رضي الله عنه، يوم كان في الحبشة مهاجراً وسأله ملكها النجاشي عنك، فقال:

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، إن تكلم فهو صادق، إن عاملته فهو أمين، إن استثيرت شهوته فهو عفيف، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دُون الله من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء... ونهانا عن الفواحش، وشهادة الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات))

[ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

خاطبك ربك فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾

[سورة الأحزاب: 45-46]

لقد دعوت إلى الله، وتلوت على قومك آيات الله، وعلمتهم الكتاب الحكمة، وزكيت الذين آمنوا بك، وساروا على نهجك، حتى صاروا أبطالاً، رهباناً في الليل، فرساناً في النهار، يقومون الليل إلا قليلاً، ينفقون أموالهم سرّاً وعلانية، ويدروون بالحسنة السيئة، في صلاتهم خاشعون، عن اللغو معرضون، للزكاة فاعلون، لفروجهم حافظون، ولأماناتهم وعهدهم راعون، يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، يبيتون لرهبهم سجداً وقياماً، هم تائبون، عابدون، حامدون، سائحون، راكعون، ساجدون.. أمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر.. حافظون لحدود الله.. يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، إذا قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لهم فاخشوهم، زادهم إيماناً، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، هم رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً، يُبلغون رسالات الله ويخشونه، ولا يخشون أحداً إلا الله، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، وعلى ربهم يتوكلون، ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين، كانوا قوامين بالله شهداء بالقسط، أذلة على المؤمنين، أعزّة على الكافرين، أحبوا الله وأحبهم، رضي الله عنهم، ورضوا عنه.

حاجة المسلمين اليوم إلى الاهتداء بهدي ربهم واتباع سنة نبيهم :

لقد عرفت قيمة الوقت، فجعلته ظرفاً لبطولات تعجز عن صنعها الأمم والشعوب، حتى أقسم الله بعمرِكَ الثمين فقال تعالى:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[سورة الحجر: 72]

ما أحوج المسلمين اليوم إلى أن يصطلحوا مع ربهم، ويخلصوا له دينهم، ويهتدوا بهديك، ويتبعوا سنّتك، ثم يدعوا بدعائك، فلعل الله يُخرجهم من الظلمة، ويكف عنهم الغمّة، وينصرهم على أعدائهم وما أكثرهم.

يا ذا القلب النقي، يا من لا تفلت منك شاردة، من آمال الناس وآلامهم، إلا لئبّتها ورعيتها، وأعطيتها من ذات نفسك كلّ اهتمامٍ وتأيدٍ، يا أيها العابد الأواب، يا من تقف في صلاتك تتلو سوراً طويلة من القرآن، في انتشاء وغبطة، لا تقايض عليها ملء الأرض ذهباً، ثم لا تلبث أن تسمع بكاء طفلٍ رضيع كانت أمه تصلي خلفك في المسجد فنضحي بغبطتك الكبرى وحبورك الجياش، وتُنهي صلاتك على عجل رحمةً بالرضيع !!...

يا من سَوَّيت نفسك مع أصحابك، في بعض الغزوات، فتنابوت واثنين منهم على راحلة، فلما طُلب منك أن تبقى راكباً قلت لهما: ما أنتما بأقوى مني على السير، وما أنا بأعنى منكما على الأجر!. يا من كنت ترتجف، حينما ترى دابة، تحمل على ظهرها فوق ما تطيق..يا من أرسلك الله رحمةً للعالمين. قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

[سورة الأنبياء : 107]

وزكى عقلك فقال:

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾

[سورة النجم : 2]

وزكى لسانك فقال:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾

[سورة النجم : 3]

وزكى شرعك فقال:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[سورة النجم : 4]

وزكى جليسك فقال:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾

[سورة النجم : 5]

وزكى فؤادك فقال:

﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾

[سورة النجم : 11]

وزكى بصرك فقال:

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾

[سورة النجم : 17]

وزكى خلقك فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم : 4]

وأقسم بعمرِكَ الثمين فقال:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

[سورة الحجر: 72]

نشهد أنك أدّيت الأمانة، وبلّغت الرسالة، ونصحت الأمة.. وكشفت الغمّة، ومحوت الظلمة... وجاهدت في الله حق الجهاد، وهديت العباد إلى سبيل الرشاد...

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيد البشر وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، الذين ربّاهم تربية حملت أحدهم على أن يقول: "والله لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقيناً، ولو علمت أن غداً أجلي، ما قدرت أن أزيد في عملي".

ونحن نقول مع مَنْ قال يا سيدي يا رسول الله، ما أعقلك! وما أرحمك! وما أوصلك! وما أحكمك! جزاك الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته، لقد كنت رحمةً مهداة، ونعمة مزجاة.. والحمد لله رب العالمين، وبارك الله بكم، وشكراً لإصغائكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المذيع :

شكراً لشيخنا الجليل على هذه الموعظة، نقدم لكم الشيخ أبو موسى وهو يجيد الخطابة واقفاً، الشيخ أبو موسى كنت في حيرة كيف العرف في السودان، أن النساء يمكن أن يجتمعن مع الرجال، شعرت أن العرف هنا ربما لا يسمح فاتصلت به أستشيريه، فكان رأيه متقدماً هو الآن بجانب ويمن أن يضيف في هذا الرأي، أنا هنا أحيي المرأة السودانية، وأحيي السيدة الوزيرة أميرة الفاضل، فهي مثال للمرأة السودانية التي نقدمها في كل المحافل.

لماذا نحبّ محمداً ؟

الشيخ أبو موسى:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سيدي سعادة السفير عثمان ليتنا اليوم نجتمع لاستقبالك لا لوداعك، فقد تركت والله أثراً طيباً طيلة هذه السنين الذي خدمت فيها في وطنك الأول، ولا أقول الثاني، في أرض المملكة الأردنية الهاشمية، وأحيي أيضاً من أشار إليها أخي الدكتور صلاح السيدة الوزيرة أكانت سابقاً أو لاحقاً، وأحيي أخواتي جميعاً كل واحدة منهن باسمها، وأحيي أحبتي أفراد الجالية السودانية في هذا الوطن، الذين دائماً وأبداً يكحلون

العين برؤيتهم في مسجد الكالوت، حيث أقوم بالخطابة هناك، وأقول لأهلي وأحيتي: أخواني السودانيون في الأردن أنتم كبائع العطر إن لم يشتر أحدنا منكم فإنه يشتم رائحة طيبة على الأقل، أحيي بكل تأكيد أخي وأستاذي وشيخي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، العالم الجليل الذي دائماً يتيح لي الحظ أن ألتقي به دونما اتفاق، ما إن أتوجه إلى حفل إلا ويكون فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي قد دعني إلى هذا الحفل، وأكون معه وجهاً إلى وجه فأقع في حيرة من أمري يا أحييتي أتعلمون لماذا؟ لأن فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي حينما يتحدث يستهلك حروف الأبجدية جميعها، ولا يبقى لهذا الرجل شيئاً، فماذا أفعل؟ لا أسمح لنفسي أن أتقدم عليه مطلقاً، فهو أستاذي وشيخي، وفي نفس الوقت أقول له: رافة بنا يا دكتور راتب حتى نجد شيئاً نتحدث به، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾

[سورة الصف:6]

يوجد كتاب في الأسواق أكرمني الله به اسمه: لماذا نحب محمداً صلى الله عليه وسلم؟ يشرفني بالغد إن شاء الله وقبل أن يرحل سعادة السفير إلى وطنه السودان أن أقوم بإهدائه هذا الكتاب، ولأعضاء السلك الدبلوماسي في السفارة السودانية، لماذا نحب محمداً؟

خرج النبي صلى الله عليه وسلم في يوم من الأيام من مسجد بعيد صلاة الظهر فوجد نفرًا من أصحابه قد تحلقوا على بوابة المسجد، يتحدثون فيما بينهم، فسلم عليهم الصلاة والسلام وجلس بينهم، ثم قال: ماذا تصنعون؟ فقال قائل منهم: نتذكر يا رسول الله، قال: بأي شيء تتذكرون؟ قالوا: نتذكر بأمر الدين والدنيا، قال: وعم تتساءلون؟ فقال قائل منهم: نتساءل يا رسول الله عن أشد خلق الله إيماناً، فقال عليه الصلاة والسلام: وماذا قلتم؟ فقال واحد منهم: قلنا الملائكة أشد خلق الله إيماناً، فقال: ولم لا يؤمنون وهم حول العرش يسبحون؟ فقال واحد آخر: الأنبياء يا رسول الله أشد خلق الله إيماناً، فقال عليه الصلاة والسلام: ولم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ فقال واحد آخر: إذا نحن يا رسول الله، أشد خلق الله إيماناً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ولم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ قالوا: من إذاً يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قوم يأتون من بعدكم يجدون كتاباً بين دفتين يقرؤونه، ثم يعملون بما جاء به، أولئك أشد خلق الله إيماناً، نحن لم نر النبي صلى الله عليه وسلم، ولم نر معجزات أبداً، أنا أخاطب سيدي رسول الله:

أنت الذي من نورك البدر اكتسى والشمس مشرقة بنور بهاك
أنت الذي لما رفعت إلى السما بك قد سمت و تزينت لسراك
أنت الذي نادك ربك مرحباً ولقد دعاك لقربه وحبك

هود و يونس من بهاك تجملاً وجمال يوسف من بهاء ضياك

صلوا على رسول الله.

لمحة عن العصر السابق لعصر النبي عليه الصلاة و السلام :

أخواني سوف أستلب من وقتكم ما سمح لي أخي الدكتور صلاح من خمس عشرة دقيقة، دققوا على عقارب الساعة، لأنني سوف أنتقل بحضراتكم إلى ما قبل النبي صلى الله عليه وسلم بسبعمئة عام، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حينما حملت بي أن نوراً خرج منها فأضاء قصور بصرى، في بلاد الشام، هكذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم، الملوك في الزمن الماضي في مصر كانوا يقولون عن الملوك فراعنة، وهناك في الصين أباطرة، وفي اليمن تبابعة، مضى عهد التبابعة، وجاء الملك سيف بن ذي يزن ليحكم بلاد اليمن في عهد أبرهة الأشرم الحبشي، كما تذكرون جميعاً سيف بن ذي يزن يموت، من يأتي من بعده ولده ليرث الحكم، وكانت مكة في مجاعة، فقرر أسياك مكة أن يتوجهوا إلى اليمن ليقدموا التهنة إلى ملك اليمن الجديد، وبالتالي يطلبون منه العون لإطعام الجياك في مكة المكرمة، من من أسياك مكة؟ عبد المطلب، من هو عبد المطلب؟ استمعوا إلى نسب الحبيب محمد بن عبد الله، تذكروا أخواني أخواتي الكريماك أنكم تصغون أكثر من الرجال أحياناً تذكرون من سيربح المليون، هل تذكرونه؟ شاب والله في السنة الثالثة من الجامعة يقول له جورج قرداحي في الأسئلة: انتبه، أنا أسألك هذا السؤال ربما تستعين بصديق أو لا تستعين بصديق، عبد الله، عبد الحميد، أربعة أسماء اسم والد محمد، اتصل بصديق ولم يعلم اسم والد النبي صلى الله عليه وسلم، السيدي موجود عندي في الجامعة ولم يعرف اسم والد النبي صلى الله عليه وسلم، نحن نتحدث في هذه الأمسية المباركة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن معد ابن نزار بن عدنان صلوا عليه.

اختاروا عبد المطلب رئيساً للوفد الذي سوف يتوجه إلى مكة المكرمة للتهنة، وطلب العون، من اختار عبد المطلب؟ اختار أسد بن خويلد وعبد الله بن جدعان وأميه بن عبد شمس، هؤلاء كانوا من العمالقة من أصحاب الرأي، وأخذوا عدداً وثيراً من الرجال، وتوجهوا إلى بلاد اليمن، وصلوا بعد فترة إلى بلاد اليمن، وأذن لهم الملك أن يدخلوا إليه ليقوموا على تهنتته بالعرش، دخل هؤلاء الأربعة وبقية الرجال بقوا في الخارج، فلما اقتربوا الملك يجلس على عرشه قال: من المتحدث فيكم؟ فتقدم جد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: أنت المتحدث؟ قال: نعم، فقال له الملك: إن كنت ممن يحسن الكلام بين يدي الملوك

فتكلم وإلا فدع غيرك يتكلم، إذا جلست عند الملوك فاعلم ماذا يخرج من فمك، هكذا قرأنا في كليلة ودمنة ونحن صغار، استمعوا ماذا قال؟ أيها الملك: إن الله قد أحلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً، وأنبئك منبتاً طابت أرومته، وعزت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه في أكرم موطن وأطيب معدن، فأنت ملك العرب وربيعها الذي تخصب به البلاد، ورأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، وسلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، هذا لم يدرس في السوربون، لم يذهب إلى باريس أو مانشيستر، هذا درس في البادية، لماذا؟ لأن الله في لوح مفاديره يريد أن يخرج من أصلاب هؤلاء الرجال نبياً اسمه محمد بن عبد الله، ويجب أن يكون أجداد النبي صلى الله عليه وسلم هكذا، إذ الله الذي علمه الله الذي أنطقه قال له: من أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. قال: ابن أختنا؟ يتحدث عن هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام، قال: نعم. قال الملك، وكان الملوك يفهمون و يتكلمون اللغة العربية، انتبهوا ماذا قال؟ قال: ابن أختنا؟ قال: نعم، قال: ادن، فأدناه، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحباً وأهلاً، وناقاة ورحلاً، ومستناخاً سهلاً، وملكاً رحلاً، يعطي عطاء جزلاً، قد سمع الملك مقالنكم، وعرف قرابتكم، وقبل وسيلتكم، فأنتم أهل الليل والنهار، أهل مكة أهل الليل والنهار من أجل العمرة والطواف، هم الوحيدون وليس الذين يسهرون في الخمارات، لا، ولكم الكرامة ما أقمتم، والحباء إذا ظعنتم.

أنزلوهم قصر غمدان، ما هذا الاستقبال الرائع، فأقاموا شهراً في خير ضيافة، الملك سيف بن ذي يزن، أرسل رسولاً إلى عبد المطلب، جاءه الرسول قال: إن الملك يريد أن يلتقيك بمفردك فلا يأتي أحد معك، فتوجه عبد المطلب مع الرسول إلى قصر الملك سيف بن ذي يزن، هناك أبقاه أربعة أيام دون أن يكلمه أبداً، حتى خاف الوفد المكي على حياة عبد المطلب أين ذهب، ماذا صنع به الملك، وبعد أربعة أيام أرسل إليه وأخرج جميع من في القصر قال: اجلس يا عبد المطلب إني مفض إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به، ولكني رأيتك معدنه، فأطلعتك طليعه، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه. فقال عبد المطلب: أيها الملك مثلك سر وبر، فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمرا؟ قال: إذا ولد بتهامة غلام به علامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة. هذا أوانه الذي فيه يولد أو قد ولد، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه، وإن الله باعته جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يعبد الرحمن، يكسر الأوثان، ويخمد النيران، ويدحر الشيطان، قوله فصل، وحكمه عدل، ماذا تقول يا عبد المطلب؟ فقال عبد المطلب: والله لولا مكانة الملك وهيبته لطلبت منه الإيضاح بعد قليل من الإفصاح.

فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النقب، إنك يا عبد المطلب لجدته من غير كذب. هذا محمد صلى الله عليه وسلم بشارة النبي عيسى ودعوة إبراهيم، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة البقرة: 127- 129]

الاحتفال بالمولد النبوي ليس احتفالاً تعبدياً إنما تذكير بصفاته و شمانله :

لذا كما تفضل الدكتور عصام في بداية الحديث اختلف كثيرون على الاحتفال بعيد المولد الشريف، نحن لا نتعبد أشخاصاً، نحن نحب محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله أحبّ محمداً، لأن الله أحبّ محمداً، نحن كبشر هاهنا إذا أهدنا أراد أن يسافر إلى بلد ما كان في الزمن الماضي لا بد له من الحصول على شهادة حسن سلوك من دوائر الأمن، فما رأيكم بالذي أخذ شهادة من ربه بأنه على خلق عظيم، إذا الله عز وجل يقول لعبد من عباده:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم : 4]

هذا هو محمد نحن حينما نجتمع نجتبع من منطلق قوله تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾

[سورة الأعلى: 9]

نحن نحتاج إلى وقود بين الحين والآخر، أقف على المنبر يوم الجمعة، وأحياناً أتشرف بزيارة أخي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي لخطبة الجمعة، يجلس تحت المحراب وربما يشاهد كما أشاهد، أشاهد أناس يبكون يذرفون الدموع وأنا أخطب على المنبر، وبعد أن ينطلقون خارج بيت الله كأنهم ينسون أو يتناسون، نحن بحاجة إلى هذه اللقاءات أكانت الهجرة النبوية العطرة، أو السيرة النبوية العطرة، أو المولد، أو بدر، أو ... هذه ليست احتفالات تعبدية كما أشار الدكتور عصام، هذه احتفالات يذكر أهدنا الآخر لأننا في هذا العصر يتحدث الإنسان بألم مما يدور من حوله والله، قال تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾

[سورة محمد: 22]

الأخت تعيش هنا، الأخ يعيش هنا، انتبهوا، خصام بينه وبين زوج أخته يقاطع أخته سنة وستين وثلاث، من أجل زوج أخته، والله يقول أحدهم في الزمن الماضي لا في الزمن الحاضر، يقول: والله لو أغلق خنتي- أي زوج أخته- لو أغلق خنتي عليّ باب بيته لذهبت إلى النافذة، فإن أغلق النافذة لصعدت إلى السطح حتى أنزل أختي، تقطعت أرحامنا، فنحن بحاجة إلى هذا الوصال، لذا أتوجه بالشكر الجزيل

إلى أخي الدكتور صلاح وإلى جميع القائمين على هذا الجمع الطيب، وأتوجه بالشكر إلى كل الحضور لإصغائهم إلى هذا الرجل الثرثار، واعذرونا إن أطلنا عليكم، أستودعكم الله وكل عام وأنتم بخير. المذيع :

الشيخ أبو موسى دوماً يتحفنا وهو حقيقة لا يخطب هو يؤذن، كنت في بداية افتتاح مسجد النور في السودان، كانت هناك محاولة أن نأخذة إلى السودان في سياحة ليعرف السودانيون الذين يلتقيهم هنا، وكذلك يقدم خطبة في السودان، لكن لأسباب لم نستطع وإن شاء الله سيكون معنا في السودان الشيخ النابلسي، الختام سيكون البروفسور مصطفى ونحن نيابة عن الجالية ندعوه أن يعطينا خواطر وكذلك يختم ويشكر الأخوة العلماء الأجلاء.

عظمة النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة غير المسلمين :

البروفسور مصطفى:

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذُ بالها من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ونصلي على رسول الله الرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه وسلم.

بدءاً الشكر كل الشكر لأخواننا في الجالية السودانية لإتاحة هذه الفرصة لنا لنلتقي بهذه القامات العالية، ونحتفي ونحتفل بالذكرى العطرة لمولد النبي صلى الله عليه وسلم، ويعتزيننا بعض الحزن لوداع أبي الأسرة الأستاذ عثمان نافع، نسأل الله أن يجري له الثواب على ما قدم خلال السنوات السابقة من رعاية لهذه الجالية بكل الأبوة والحفاوة، وداره مفتوحة كل الوقت للقادمين وللذاهبين، فبارك الله في سعيه، وفي أسرته، ونسأل الله أن يجعل مقامه أينما حلّ خيراً على الأمة، وفيما نعلم سيندب إلى مهمة أكبر إن شاء الله، وهو لها إن شاء الله، والشكر كل الشكر للمشايخ.

قالوا: الحديث بعد الشيخ عصام والشيخ محمد راتب النابلسي وبعد الدكتور سعد الدين يصبح من نافلة القول، عندما طلب مني أن أتحدث عن شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت وجهزت محاضرة كاملة الدسم باستخدام التقنيات الحديثة عن شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، ومناقبه عند غير المسلمين، فبحثت فوجدت أكثر من ثلاثين من كبار علماء الغرب الذين كتبوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فوجدتها كلها بما نحتاجه في هذا الزمان الذي وصلت الأمة إلى ما وصلت إليه من الدرك الأسفل، كلها محفزات وكلها شهادات بأن النبي صلى الله عليه وسلم رسالته هي الباقية والخالدة، بل منهم برناد شو قال: إذا كان هناك دين سوف يسود في بريطانيا وفي أورها خلال المئة القادمة ويحكم فهو الإسلام. بل حتى نابليون بونابرت الذي جاء واحتل بلاد المسلمين، ودخل المسجد الأزهر بخيوله، قال: لو أتيح لي فترة من الزمن لأبقى لجمع العقلاء من كل أنحاء العالم وحكم العالم على مبادئ القرآن التي جاء بها

محمد.

وهذا كلام مثبت حقيقة، بل كثير من المؤرخين تحدثوا عن مناقب النبي صلى الله عليه وسلم، وشمائله في رسالته ودينه هي التي تصلح في هذا العصر، ولتغير الواقع الذي تعيشه البشرية الآن، ما أردت أن أحمله في هذه المحاضرة بأن الأمة ما وصلت إليه من اليأس والإحباط فديننا عظيم، ورسولنا عظيم، وديننا متجدد، وفيه كثير من الحيوية، والبشرية بحاجة له، لكن نحن ما فيه الآن الذي أوصلنا إلى هذه الحالة هو بعدنا عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وعن المبادئ التي جاء بها، هذا حقيقة أريد أن أبقى على المحاضرة كما هي، وأعيدها لكم عندما نلتقي مرة أخرى، نقدم المحاضرة ومعها كثير من الشواهد، ومعها كثير من الوثائق التي تدلل على عظمة النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة غير المسلمين، نحن نعلم ما قاله القرآن في محمد صلى الله عليه وسلم، ونحفظ سيرته عن غيب من كثير من المصادر التي عندنا، لكن في الغرب هناك الكثير من العلماء الذين كتبوا عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل هذا اليهودي الذي هو مايكل هارت الذي تحدث عن العظماء المئة في التاريخ البشري، وضع سيدنا محمداً في رأس القائمة، وقال: ربما يندهش القارئ لذلك، ولكن للرجل محمد صلى الله عليه وسلم من الشمائل والمناقب التي تجعله يتقدم كل هؤلاء، هو تحدث عن أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء برسالة عظيمة جداً، وطموحات كبيرة جداً، وبوسائل محدودة جداً، وحقق إنجازات ضخمة جداً.

أنت حينما تأتي بطموحات كبيرة جداً فتغير الواقع، وتغير عقيدة الناس، من الأصنام، ومن الفقر، يقيمون دولة وبإمكانية محدودة جداً، تحقق الإنجازات المذهلة جداً، كثير منهم تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، والبيئة التي نشأ فيها، وفقرها، ما فيها من عدم الإمكانيات، وحقق تلك المعجزة في أقل من ربع قرن، استطاع أن يوحد جزيرة العرب، وأن يلغي ثلاثمئة وستين صنماً في الكعبة، والأمة تصل إلى ثلث العالم، الذي كان معروفاً في ذلك الزمان، بل ثلث سكان العالم كلهم دانوا بالإسلام.

عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء، نحن نجدد شكراً لأخواننا في الجالية لأنهم أتاحوا لنا هذه الفرصة، وأتاحوا لنا السماع لهذه القامات التي شرفتنا هذه الليلة، والشكر الجزيل لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الذي نتابعه بالقنوات الفضائية بصورة مستمرة، ما يقدمه في هدوء ومنطق ونحن نشترك معه في المهنة، ولكن جزاه الله خيراً هو ذهب في طريق العلوم الشرعية وأبدع، والشكر للشيخ سعد الدين نحن نأتي إلى الجامع ونستمع للخطبة، بارك الله بكم، والشكر لأخواننا مرة أخرى في الجالية.

خاتمة و توديع :

المذيع :

الشكر من الجالية إلى العلماء الأجلاء، نقدم هذا الدرع لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، وللشيخ سعد الدين، هناك درع للدكتور عصام البشير، لكن إن شاء الله سوف نقدمه وسيستلمه السيد الوزير المفوض ياسر نيابة عنه، ونكرم الشيخ البروفسور، نشكر جميع الحضور.